تأملات في سفر آدم

بسم الله الرحمن الرحيم

سِفْرْ آدم

(١) إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين، فرذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.١

إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون. فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعلوا له ساجدين.٢

إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماَء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون.٣

(٢) وعلّم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.٤

قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.٥

قال يآدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون.٦

(٣) ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين.٧

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى.٨

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال ءأسجد لمن خلقت طينا.٩

فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين.١٠

فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين.١١

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين.١٢

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربّه، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو، بئس للظالمين بدلاً.١٣

(٤) قال يا إبليس ما منعك ألا تكون مع الساجدين.١٤

قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون.١٥

قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين.١٦

قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.١٧

قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك.١٨

قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.١٩

قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها، فاخرج منها فإنك رجيم، إنك من الصاغرين، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين.٢٠

قال أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذريته إلا قليلا، رب فأنظرني إلى يوم يبعثون، رب فأنظري إلى يوم يبعثون، أنظرني إلى يوم يبعثون.٢١

قال فإنك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم.٢٢

قال رب، فبعزّتك، لأقعدن لهم صراطك المستقيم، لأزين لهم في الأرض، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ولا تجد أكثرهم شاكرين، ولأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين.٢٧

قال هذا صراط عليّ مستقيم، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين، فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين، فاخرج منها مذءوماً مدحوراً، اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنّم جزآؤكم جزآء موفوراً، واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك، وشاركهم في الأموال والأولاد، وعدم، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا.٢٤

(٥) وقلنا يآدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وكُلا منها رغدا حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين.٢٥

فقلنا يآدم إن هذا عدو لك ولزوجك، فلا يخرجنّكما من الجنة فتشقى، إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى.٢٦

(٦) فوسوس إليه الشيطان، قال يا آدم هل أدلّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى.٢٧

فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما، وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين.٢٨

وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين.٢٩

فدلّاهما بغرور.٣٠

فأكلا منها، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، ونادهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين، وعسى آدم ربّه فغوى.٣١

فأزلّا الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه.٣٢

(٧) وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين.٣٣

فتلقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم.٣٤

قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.٣٥

ثم اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى.٣٦

(٨) قلنا اهبطوا منها جميعاً، بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين.٣٧

فإما يأتينكم منّي هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فلا يضل ولا يشقى.٣٨

والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.٣٩

قال فيها تحيون، وفيها تموتون، ومنها تخرجون.٤٠

...-...

فهرس سفر آدم

بسم الله الرحمن الرحيم
سفر آدم
تأملات

(١)سبب تكريم آدم على الملائكة والمخلوقات هو في أمر واحد لا ثاني له، وهو "وعلّم آدم الأسماء كلّها" فالتعلّم من الله مباشرة، وهو أعلى رتب الوحي وتكليم الله للبشر "وما كان لبشر أن يكلّم الله إلا وحيا"، فاذاً على الذي يريد أن يكون آدم أن يقضي كل وقته ما استطاع في التأمل في الله وفي خلق الله "الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض" فمعرفة الأمور الروحية، ودرجات ظهور المخلوقات من العالم الأعلى، اللانهاية والعظمة، النفس المتعالية، ثم في عالم الحق والملكوت، السماوات، ثم في عالم الآفاق والكثرة الزوجية وهي الدنيا، ثم في عالم الأنفس الإنسانية، التي هي عين النفس المتعالية، أو النفس المتعالية عين النفس الإنسانية، إذ في الدائإة البداية هي النهاية والنهاية هي البداية، فعالم "بسم" هو الأول وعالم "الرحيم" هو الرابع، وهذا العلم هو سبب تكريم الإنسان.١

لقد قرن الله بين الصور والتعليم، ففي قوله "ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم" تقابل في القصة "إذ قال ربك للملائكة إني خالق" و "علّم آدم الأسماء كلها"، فكلمة "خلقناكم" تشير إلى الخلق من طين، وكلمة "صورناكم" تقابل "وعلّم"، إذاً صورة الإنسان هي علمه الذي في نفسه، وعلم الإنسان مكنون في تساؤلاته، فصورتك هي تساؤلاتك، لذلك ترى أن الذين تساؤلاتهم عن الشهوات والغرور وأمور الدنيا السفيهة تراهم كأبشع ما ترى من صورة، وترى أن العلماء والمفكّرين الروحيين أن صورتهم من أجمل الصور، فكل امرئ يصوّر نفسه بحسب العلم الذي يتعلمه والمعرفة الذي يتسائل فيها.٢

ما هي الأسماء، لقد وردت في المقطع الثاني أربع مرات، "الأسماء" و "بأسماء" و "بأسمائهم" و "بأسمائهم"، والعوالم أربعة، الأعلى المحيط والملكوت الحق والآفاق وأنفسهم، وهذه الأسماء قرنت بالنبوة، لقوله "أنبئهم" "فلما أنبأهم" "أنبئوني"، والنبوة أمثال، والأمثال هي صور المخلوقات أو حالاتهم، ويبدأ عالم الخلق من الملكوت، فلذلك وردت ثلاث مرات كلمة "نبأ" ومشتقاتها في المقطع، لأن العوالم الملكوت والآفاق والأنفس هي عوالم الخلق الثلاثة، ولاشيء وراءها من الخلق إلا عالم الأعلى المحيط الخالق لكل شيء، ولقد أشار بالأسماء إلى "هؤلاء" فثمة حاضرين لا يعرف أسمائهم الملائكة، ولكن أيضاً قال "ثم عرضهم" و"هم" ضمير العاقل، ويشير إلى ثلاثة فما فوق لأنه جمع، فاذا نظرنا في القرآن الكريم وجدنا أن العلم الإلهي، النفس المتعالية وتجلياتها، مكنونة في صدف أسماء الأنبياء وأعمالهم، وكل الأمثال الأخرى، كالبحر والسماء والعصا، هي منها وأقل منها درجة، وإن كان الكل يعود إلى النفس المتعالية، ولكن رفعة الإنسان وتدبير شؤونه أحسن ما تكون هي في قصص الأنبياء، أي تحت أسمائهم، فإذاً الأسماء

هي أسماء الأنبياء المصطفين، وهذا في قوله تعالى "إن الله اصطفى آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم" وهذه هي الأسماء الثلاثة، نوح وآل إبراهيم وآل عمران، وهي الأسماء التي سيعلّمها الله لكل إنسان في كل زمان سيتحقق باسم آدم، وهو أن ينذر حياته للذكر والفكر، أي أن يجعل الذكر والفكر محور حياته، لا نار إبليس وهي شهوات الجسم والعنف والغضب والإكراه والفتن والحروب والتدمير، فالذكر هو الماء لأن به حياة القلب كما أن بالماء الجسماني حياة الجسم، والتراب هو الفكر لأن بالتفكر تبنى صحراء عقل الإنسان وبنفسه، وأليس المنطق العقلي وتسلسله كبناء وعمران ينشئه المهندس، وهذا هو الطين الذي خلق منه آدم، فكل من ينشئ نفسه على الذكر والفكر هو آدم، وعندها سيعلمه الله ما هو نوح وآل إبراهيم وآل عمران، حتى يجعله المسيح، الذي يمسح كل الظلمات بسرّ "بسم الله الرحمن الرحيم"، إذاً الأسماء التي علّمها الله لآدم هي نوح وآل إبراهيم وآل عمران.٣

تأمل المقابلة بين،
طين—صلصال من حمأ مسنون
يفسد فيها—يسفك الدماء
نسبّح بحمدك—نقدّس لك
شجرة الخلد—ملك لا يبلى
إلا أن تكونا ملكين—أو تكونا من الخالدين
قاسمهما—فدلّاهما
فأكلا منها—فلما ذاقا
عصى—غوى
ألم أنهكما—أقل لكما
تغفر لنا—ترحمنا
مستقر—متاع
فتاب عليه—هدى
فلا خوف عليهم—ولا هم يحزنون
فلا يضل—ولا يشقى
كفروا—كذبوا بآياتنا.٤

"أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" فمن زعم أن الله تعالى يأمر بسفك دماء الناس فهو ملعون ابن ملعون، فقد قرن الله بين الإفساد في الأرض وسفك الدماء، فمن جوّز الثانية فقد جوّز الأولى. والله لا يأمر بالفساد، فالجهلة الذين يزعمون أن القتل في القرآن الكريم هو سفك الدماء ما أعماهم وأجهلهم. لا يجوز سفك دم إنسان إلا في حالة واحدة لا ثاني لها وهي القصاص، أن يسفك هو دم أخيه فيحق لأولياء المقتول أن يقتصّوا منه، أما إذا أراد أن يقتلك أحد فقل "لئن

بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين" وتأمل أنه لم يقل "لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك" وتوقف. وإنما "لأقتلك" أي سأبسط يدي إليك لأضربك أو أدفعك عنّي، أما أن أقتلك فلا، وكذلك إذا أراد أحد ضربك فابسط يدك إليه لتدفعه عنك ولكن لا تضربه وتعتدي عليه، فكن دائماً أقل بدرجة، إن أراد القتل فاضرب، وإن أراد الضرب فادفع، ولا تعتدي على أحد "إن الله لا يحب المعتدين".٥

ما هي الشجرة التي نُهي عنها آدم وزوجه، عرّفها الله بقوله "شجرة الخلد" على لسان الشيطان، والشيطان يوسوس بالوهم والباطل والغرور، فتعريفه للشجرة المنهي عنها بأنها "شجرة الخلد" مشكوك فيه، ولكن ما معنى "الخلد"، إما أن تكون من العقل، لأن الخلد هو العقل كقولهم أعلم ما يدور في خلدك أي عقلك، وسمّي خُلداً لأن الإنسان يجد الراحة عندما يسمع لعقله الواعي للحق، وهو من الإخلاد إلى الشيء أي التمسك به والارتياح إليه، كقوله تعالى عن القلب الذي انسلخ من آيات الله "ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه"، و"الشجرة" من التشاجر وهو الاختلاف التنازع في الرأي، لقوله "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت"، فتكون "شجرة الخلد" هي منازعات العقل ومجادلاته التي لا تنتهي "وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً"، وإما أن تكون من الخلود، أي الشجرة التي لو أكلت منها سوف تخلد ولن تموت، وكلاهما حق، وإما أن تكون الدنيا وشهواتها، لأنها تترسخ في النفس الغافلة عن الله ثم تثمر الأخلاق السيئة والفساد وسفك الدماء رغبة في إرضاء إله الشهوة، شهوة البطن والفرج والوهم الذي لا ينتهي، وإما أن تكون الكثرة التي تحجب الوحدة الإلهية، كل هذا من تأويل الشجرة المنهي عنها، ولكن ما يهّمنا هو الأساس ثم التعمّق فيها هو من العلم، وسوف لن نعرف ما هي على الحقيقة حتى يفهمنا ربنا ما هي الجنة التي اسكنها الله آدم وزوجه.٦

لماذا ندرس سفر آدم، آدم هو الإنسان، فحتى نعلم ما هو الإنسان يجب أن ندرس سفر آدم، كما أن النحلة هي التي تصنع العسل، والنحلة التي لا تصنع العسل وتجعل صنع العسل محور حياتها والأساس الذي تبني عليه باقي أعمالها، فما خالف صنع العسل تركته وما ساعد عليه وقرّب إليه أخذته، فهذه ليست نحلة وإنما كان لا فائدة منه، بل لن يأتي منها إلا الضرر، لأنها ستقرص الناس وتؤذيهم وتشغل وقتها في الباطل ولعلها تغوي باقي النحل ليتركوا ما خلقهم الله له ويصبحوا شياطين يبعدون النحل عن سبب خلق الله لهم، كذلك الناس، حتى يعلم المرء ما هو الأمر الذي يجعله إنساناً، الذي هو العسل بالنسبة للنحل، فهو ليس بإنسان، وإنما كائن لا فائدة منه، شيطان من الإنس، من الخير ألا يحيا بين الناس، وفي سفر آدم كا هذا، فيه سبب تكريم الإنسان، الذي هو العسل بالنسبة للنحل، وفيه حل كل ما يواجه هذه الغاية، وفيه حال الإنسان إذا عاش كإنسان بحق، وفيه الأسباب التي تجعل الإنسان يخرج من هذه الحالة، وفيه كيفية العودة إلى هذه الحالة، وفيه عدو الإنسان وصفاته وماهية خدعه وأساليبه في الإغواء، وكثير وكثير مما يجعل مسألة الإنسان كوضوح الشجرة الكبيرة الجميلة في وضح النهار للمبصر

الكامل، وخطر عدم دراسة سفر آدم هو أن النحلة التي لا تصنع العسل فهي شيطان، فمن لم يعرف آدم فليس بإنسان "إن الشيطان للإنسان عدو مبين" ومن درس سفر آدم وعمل به وتكلّم عنه ونشره بين الناس هو من الذين ليس للشيطان عليهم سلطان. "وكفى بربك وكيلا".٧

قدر الإنسان بحسب أولوياته، وصورته بحسب تساؤلاته.٨

من كان ذكر الله وتعلّم القرآن هو أولى أولوياته فهو الإنسان الذي خُلِقَ في أحسن تقويم، ومن كانت تساؤلاته عن الله والآخرة وجواهر النبوات والآيات فهو الذي لا أستطع أن أصف قدره وحسن صورته.٩

إن كان الجن قد يرفعهم الله إلى درجة الملائكة، فما ظنك بالإنس، وإن الجنّ لتهتدي بما جاَء إلى الإنس "كتاب أنزل من بعد موسى يهدي إلى الرشد فآمنّا به" فالإنسان المتأله حامل القرآن هو ليس في درجة الملائكة بل "تسجد الملائكة كلهم أجمعون".١٠

إن كان إبليس المرجوم الملعون يسأل الله ثلاث مرات ويلح عليه فيجيبه بل ويعلمه كيف يتمم مهمته فما ظنك بالتقي الحليم حامل القرآن إن سأل الله ثلاث مرات وألح عليه.١١

الصراط المستقيم هو الحرمات السبع عشرة وهذه أوّل ما يحاول الشيطان أن يجعل الناس تخرج عليه، لأن الذي يخرج عن واحدة منها يكفي ذلك لأن يحل عليه الغم والعذاب، فالمرابي الزاني لماذا يأتيه الشيطان مرة أخرى، أما إذا حفظ الإنسان شريعة الله وهي المحرمات السبع عشرة دخل إليه من باب التزيين في الأرض حتى يلهيه عن تعلّم القرآن والملكوت، التي هي سبب إنسانية الإنسان "وعلّم آدم الأسماء كلها" فاذا حفظ الإنسان المحرمات السبع عشرة وجعل تعلّم القرآن لذته وسبب حياته وتنفسه، دخل إليه من آخر الأبواب وهو من التأمل نفسه، فيأتيه في خلال تأمله بأفكار عن المستقبل يمنّيه بها، ويجعله يرى المستقبل شديد الحسن والجمال حتى إذا عاد إلى الواقع المرير أهبطه فيصاب المرء بالاحباط والناس كمن ذاق الحلو ثم ذاق المر سيجد المرّ أشد مراراة من ما كان عليه من قبل أن يتذوق الحلو، والشفاء هنا هو أن يعمل الإنسان اليوم ما لو داوم عليه سيجعل الله يهيء له من أمره رشداً، ويجعل توكله على الله ويقول كما قال أصحاب الكهف "ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً"، فإن قال ذلك ولم يقع في حباله آتاه من خلفه، وهي سوابق معاصيه وسوء حاله قبل أن يكشف الله عنه السوء، إذ لا يوجد غير عيسى بن مريم وأمّه من لم يمرّوا في الظلمات حتى يصلوا إلى النور، إبراهيم أشرك وموسى قتل ومحمد ضلّ وغفل. ثم صار إبراهيم الخليل وموسى الكليم ومحمد صاحب التنزيل الحكيم، فهنا يذكره الشيطان بمعاصيه السابقة ويقول له، أتدعي أنك تقي ومتعلّم للقرآن وصاحب روحانية وملكوت، ألا تذكر كذا وكذا، هل تظن أن الناس ستسمع لك وقد كنت كذا وكذا،

فيدخل عليه اليأس من هذا الباب والشفاء هو معرفة أنه بدون الليل لا يوجد نهار بحق، وأعظم الأنبياء مرّوا بالظلمات فمن أنت حتى لا تمرّ فيها، والتوبة تجعل الإنسان يُخلق من جديد ولذلك من نسب إلى تائب معصية ارتكبها من قبل التوبة خير له أن يلقى في بركان وهو حي لا يموت، فإذا لم يستطع أن يغويه من هذا الباب جاَءه عن يمينه، وهي قوته ونفوذه. في السماء أو في الأرض، فيجعله يتكبّر على الناس بتقواه وصلاحه ويجعله يرى الناس دونه ولا يستطيعون أن يبلغوا مبلغه، فتراه يعبس في وجوههم إذا جاَؤه ويتكبّر عليهم وينهرهم إذا سألوه، والشفاء هو التواضع لله لأن الله هو الذي أخرجك من الظلمات إلى النور بفضله وحده، وأن تكون كالشمس من جاَءك أعطيته ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظا، فإن لم يستطع بقي له باب أخير وعن شمائلهم، وهي أخلاقهم الحسنة وعلمهم، فيمدحهم ويكبّر فيهم حتى يدخل فيهم العجب المهلك لكل شيء حسن، والشفاء هو بمعرفة أن فوق كل ذي علم عليم، وأن روح الله هي التي تنطق عنك وليس لك من الأمر شيء. وأن سورة من القرآن وفيها من العلم ما لن تنتهي منه ولو بعد مئة عام، فما بالك بالقرآن العظيم كله، فعندها كل ما يتبقى للشيطان هو أن ينتظر لحظة يغفل فيها الإنسان عن أحد هذه الأبواب حتى يدخل عليه منها ويغويه بها، أما من ثبت فهو من عباد الله المخلصين.١٢

ما هي جنة آدم وزوجه، "وقلنا"، ولم يقل "وقلت" بالمفرد، وكل "نا" إذا عادت إلى اله فهي تشير إلى الشجرة المباركة التي منها يوقد قلب المتأمل في القرآن والملكوت، لقوله "ونحن عصبة" وهم عشرة، وقوله "نحن نقص عليك" و "إنا نحن نزلنا الذكر" وقوله "شجرة مباركة" عشرة حروف، فإذاً باب الجنة هو الشجرة المباركة وهي عين النفس المتعالية الإلهية، فالتأمل في عالم الأعلى المحيط هو باب الجنة. "يا آدم" ولم ينادي بقوله "يا آدم وزوجه" أو "ونادهما ربهما" وإنما توجه النداء إلى آدم، فنفهم بنور الله أن مسؤولية إعادة الأسرة والبلدة والدولة والعالم إلى الجنة هي مسؤولية الرجال بالدرجة الأولى، فكل شقاء في العالم سببه الرجل، وعلى الرجل أن يصير آدم ويعلّم زوجه أمر الله ونوره. "اسكن" فالجنة هي في السكنية والهدوء والحلم والتأمل، "أنت وزوجك الجنة" أي تعلّم أنت القرآن وعلّمه لزوجك واجعلوا الله في حديثكم وبيتكم واجعلوا القرآن وجواهره محل تساؤلاتكم فالرجل إذا لم يتعلّم القرآن والملكوت فقد فرّط في أمر الله، "وكُلا منها" أي لا تختلفوا وتنازعوا فتفشلوا في البقاء في الجنة والوحدة، "رغداً" أي لا تغلوا ولا تتزمتوا وتتعصبوا بل ليكن كلامكم ليناً ومشيكم هيناً وخلقكم طيبا، "حيث شئتما" أي تأملوا في الله وكتابه في كل مكان ترتاحوا فيه، وابتعدوا عن أماكن السوء، الأماكن التي لا يذكر فيها الله وكتابه وأمره، "ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين" وهي الغفلة عن الله والقرآن، لأن الغفلة هي سبب الظلم وعدم تعلّم القرآن والملكوت هو سبب الظلمات، فكل ما سبب ظلماً هو من هذه الشجرة.١٣

"فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى" فما هو الشقاء، يقول الله "إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى" هذه هي حالة الجنة، أن لا يطلب أحد طعام فلا يجده، ولا يطلب لباساً فلا يجده، ولا يطلب ماء فلا يجده، ولا يطلب مسكناً فلا يجده، فالعمل لكسب المعاش هو من الشقاء، وكلّما قلّ العمل لكسب المعاش الدنيوي كلما قلّ الشقاء واقتربنا من العودة إلى الجنة وخلقها بنور الله على الأرض مرة أخرى.١٤

فاذا صار الإنسان لا يحتاج إلى العمل لكسب الضروري من المطعم والملبس والمشرب والمسكن، وأصبح يقضي كل وقته في التأمل في الله فهذه هي الجنة، هذه هي الجنة، هذه هي الجنة.١٥

وكل من يعمل على تسهيل العودة إلى الجنة فهو من الله، وكل من صعب أمر المعاش أو شجّع على الترف والغرور أو أبعد الناس بالدعوة من التأمل في الله فهو من جنود إبليس ولو وصلت لحيته إلى الأرض.١٦

ولذلك وهبنا الله "اليوم الرباني" حتى يسهّل علينا العودة إلى الجنة، فجعل أيام العمل للمعاش أربعة، من الأحد إلى الأربعاء، وجعل وقت العمل هو من طلوع الشمس إلى قبل غروبها بفاصل راحة عند الظهيرة، وجعل يوم الخميس للتأمل في كيفية تحسين العمل وتقليله لإنتاج نفس العمل الحسن المتقن، فلا عمل للدنيا في الليل، ولا عمل للدنيا وكسب القوت والمعاش، الذي هو المطعم والملبس والمشرب والمسكن، في يومي الجمعة والسبت، وجعل يوم الجمعة لدراسة سفر آدم بين الناس وتذكيرهم بأمرنا، أمر الإنسان المكرّم، وجعل يوم السبت كلّه للتأمل فيه وحده وعدم الانشغال بكل ما يزعج وخاصة عمل المعاش، بل اللعنة والغضب والهلاك سيحلّ بكل معتدي في السبت، فجعل السبت في كل أسبوع لنتذكر الجنة ونحيا فيها وجعل باقي الأسبوع لنجعل كل الأسبوع كيوم السبت وتكون هذه هي غاية كل شركة ومؤسسة وحكومة ودولة، فأيام العمل للمعاش أقصاها أربعة ثم يعملوا على جعلها اثنان ثم يعملوا على جعلها اثنان فترة واحدة وهي منذ طلوع الشمس إلى الظهيرة، فإذا أصبح هذا هو الوقت الذي يحتاجه الإنسان لتتوفر له احتياجات معاشه سيكون هذا العمل من الجنة وليس شقاء، إذ من لا يعمل لمعاشه لا يجد لذة فيه، فمن كان يومين فقط لفترة واحدة، كيومي الأحد والاثنين من طلوع الشمس إلى الظهيرة، هما يوما عمله لكسب المعاش، وكان باقي وقته في التأمل في الله والنظر إلى المخلوقات من البحر والأشجار والتنزه في الأماكن الإلهية الطيبة، فما أسعد هذا الإنسان، هذا هو إنسان الجنة، هذا هو آدم قبل المعصية، هذا هو الجنة الحاضرة، هذه هي السعادة.١٧

(٢)إن الله لم يقل "يا آدم اسكن وزوجك الجنة" ولكن "اسكن أنت وزوجك الجنة" فنفهم أن الرجل الذي لم يدرس أمر آدم، الذي هو مثل على الإنسان بالحق، ويتزوج فإنه يجلب الشقاء لنفسه وزوجه وأولاده، فلما قال الله "اسكن أنت" أشار إلى نفس آدم أولاً، وأنها سكنت الجنة، ثم قال

"وزوجك"، فعلى الرجل أن يتعلّم هو أولاً، ويجعل الذكر والفكر، التأمل، محور حياته، ويفهم ما جاء في هذا السفر العظيم، ثم إذا تزوج استطاع بإذن الله أن يعلّم زوجته ويحيا معها بأمر الله، هذا إذا لم تكن الزوجة قد تعلّمت هذا الأمر من قبل، وتأمل أن الله لم يقل "اسكن الجنة وزوجك" فالفهم هو أن مسؤولية خلق الجنة في بيت الزوجية هو على عاتق الرجل والمرأة، الزوجين، وليس على أحدهما دون الآخر، وطالما أن الله تعالى لم يذكر إلا اسم آدم، الرجل، ولم يذكر اسم زوجته، فالفهم هو أنه على الرجل أن يقوم بأمر المعاش وأمر التربية والتعليم من الأساس، وإن كان للزوجة مسؤولية فهي فرع عن أمر الرجل، ليس أمر الفراعنة، وإنما أمر الإرشاد الأساسي ووضع الخطوط العريضة في شؤون المنزل، وكلمة "اسكن" تشير إلى السكينة، التي تنزل على المؤمنين خاصة وقت الصلاة، فعلى الزوجين أن يحبّوا أن يصلّوا معاً، ويتذاكروا أمر الله وحبّه بينهم، ويدعوا الله أن يبارك عليهم، ويدعو الرجل لزوجته، وتدعو المرأة لزوجها، وأيضاً في كلمة "اسكن" إشارة إلى السكون والهدوء، فلا يبنغي لبيت الجنة أن يصيح الرجل في وجه زوجته ولا الزوجة في وجه زوجها، بل يكون الأمر هادئ أو مطمئناً سليماً قدر المستطاع، فإن أرادوا أن يتناقشوا في أمر لم يقاطع بعضهم البعض، بل يسمعوا ويحسنوا والله مع المحسنين. ١٨

كلما كان بين الإنسان والإنسان عوامل مشتركة أكثر كلما كانت صحبتهم ومحبتهم لبعض أكثر، والعوامل المشتركة أهمها ثلاث، الإيمان بنفس المصدر، والتوجه لنفس الغاية، والعمل المشترك المتشابه في الدنيا، أما الأولى فهي أن يؤمنوا بالله الواحد الأحد وأنه خالق كل شيء وأن كل شيء منه وبه وله وإليه وهو بكل شيء محيط وهو الكبير المتعال، وأما الثانية فهي أن يعمل كلاهما في أنفسهم ويدعوا إلى أمر الله وإقامة الإنسان والعمل للآخرة، وأما العمل فهو أن يكون عملهم في المجتمع نفس العمل أو في نفس المجال، كأن يكون هو طبيب وهي كذلك، أو هي طبيب وهي تعمل في المستشفيات وما شابه ذلك، حتى يكونوا كالأصحاب فوق أنهم أزواج، ألا ترى أنه قد يكون لك صديق لخمسين سنة تراه كل يوم ولا تملّ منه ولكن يكون للمرء زوجة لمدة ثلاث سنوات فيملّ منها أو العكس، فإن ما يصلح الزواج أن يكونوا أصحاب وأزواج، وهذا في قوله "وكُلا منها رغداً حيث شئتما".١٩

الجنة هي القرآن، وقوله "حيث شئتما" جعل ثمة مشيئتان، مشيئة لآدم ومشيئة لزوجه، فإنه على الرجل أن لا يحمل زوجته كرهاً على الحال التي هو يمر بها، وعلى الأمور التي هو يحب أن يتحدّث عنها، وعلى المرأة كذلك أن لا تحمل زوجها على ذلك، ولكن فليسمع كلُ منهما لما يدور في خلد زوجه، ومع الوقت، قد يصلوا من شدة القرب من بعضهم أن تقترب أحوالهم من بعض، فيعتادوا أن يحبّوا أي كلمة تصدر من أي منهما، وحتى ذلك الحين على كل منهما أن يحسن الاستماع ويمتلئ بالحلم ويعلم أن العلم في كل شيء حتى حتى من أشد الناس جهلاً، فما بالك بساكني الجنة، فليكن للزوجين مجلساً خاصاً يتدارسون فيه القرآن، أو لا يفعلوا ذلك، بل يكون كل وقتهم للقرآن والعلم وذكر الله، وحب بعضهم باخلاص هو من أعظم العلم وأعظم ذكر لله وإياك

أن تظن أن العلم والتدارس لا يكون إلا بالمحاضرات وكثرة الكلام والجدال، نعم الكلام والمحاضرة حسن وإنما العمل المحبوب هو عدم التكلّف وحسن المعاشرة، وبأن يكون للزوجين وقت معين لدراسة كتاب الله وأمره يصلوا بإذن الله إلى أن تكون كل أوقاتهم ذكر لله فأسلموا وجوهكم لله، وادعوه أن يجعل كل حركاتكم وسكناتكم منه وبه وإليه، وأن يوجهكم فيما يرى هو أنه الأحسن لكم وهو أرحم الراحمين.٢٠

قبل أن تنهى عن شيء عليك أن تعطي أضعافه، ولهذا قال "كُلا منها رغداً حيث شئتما" ثم قال "ولا تقربا هذه الشجرة" فالإحسان أن تعطي الخير ثم تنهى عن شر، وليس نهي ونهي ولا خير.٢١

أمران يدمّران الإنسان، "شجرة الخلد وملك لا يبلى"، هذان هما سبب شقاء الإنسان في كل مكان. ولا يوجد أي سبب آخر لكل سوء يمرّ به الناس بسبب بعضهم البعض، إطلاقاً، لا نبالغ ولا نعمّم هكذا بجهل. ٢١

"شجرة الخلد" الشجرة إشارة إلى الطعام، الذي هو أساس المعيشة الجسمانية الدنيوية، التي هي المطعم والملبس والمسكن، والخد إشارة إلى الحياة الطويلة، وهذا سبب السرقة والغش وكنز المال والبخل والربا وكل ما يتعلق بالأمور المالية التي تعبّر عن شراء أمور المعيشة، أترى لو لم يحتاج الناس إلى الطعام ليحيوا هل كان [سيسرق] أحد، وحتى الذين عندهم ما يكفي لاطعام قارة بكاملها تراهم يرابون ويسرقون ويبخلون ويكنزون ويحتكرون لأنهم يريدون أن يضمنوا أن يحيوا حياة طويلة هانئة، أو هكذا يظنون على الأقل، ولو أخذ كل إنسان بقدر ما يحتاج من أمور المعيشة وتصدّق بالزائد الذي لا يحتاجه لما وُجد فقير أو مسكين، ولكن كل صاحب بطن أو فخر أو خيلا، يكون قد أكل حق الفقير، فحتى يضمن المعادي للإنسان وأمر الله أنه سيحيا ولا يموت من الجوع أو الفقر، فالشيطان الذي صار وليّه بعد أن كفر بالله تعالى بعده الفقر ويريه أنه لو لم يغش ويكنز فإنه سيموت وأهله فقراً، سيضطر هذا الفاسق أن يأكل حق الناس ولا يؤدي بحسب وإخلاص ما عليه أن يؤديه تجاه أخوه الإنسان، وهذا هو المرض الأول للمجتمع الإنساني. ٢٢

"ملك لا يبلى" الذي عنده ما يحتاج من أمور المعيشة والحمد لله وحده، ويسّر الله له معيشته، ولكن من يجعل العلم محور حياته وحب الله والصلاة قمره، فإنه سيحتاج إلى أمر آخر يملأ به حياته، فماذا سيفعل، سيصبح وهو يريد أن يصير طاغية على الناس، سواء في بيته، أو في عمله، أو في بلدته، أو على الدولة بأكملها، أو على العالم بأكلمه، يريد أن يستعبد الناس، ويذلّهم، سواء بالسوط والسلاح، أو بالتكبّر بالأمور السفيهة التي تشبهه، من أمور الدنيا، كلب الذهب والجواهر الزائفة، والتزين بالمراكب الغالية الزائفة، وأن يجعل له حاشية يحيطون به، وأن لا يسمح لأحد بأن يتحدّث معه إلا برسميات وتحيّات، ويريد أن يناديه الناس بألقاب الطواغيت والسادة

والكبراء، فإن الله جعل في الإنسان الطمع، وكل إنسان سيضع هذا الطمع في أمر على الأقل، فمن جعل طمعه في الله فإنه لن يشبع من العلم والصلاة، ومن جعل طمعه في المال فإنه لن يكتفي أبداً، لأن الطمع هو اللانهاية، العظمة، فمن جعله في الدنيا فهو في الدرك الأسفل من النار، أسفل سافلين، ومن جعله في النفس المتعالية فهذا في المسجد الأقصى وسدرة المنتهى وأعلى عليين، ولا يوجد مكان ثالث ليضع فيه الإنسان الطمع، فويل لمن جعل الله معيشته ميسرة ثم راح يطلب أمور الشهرة والدنيا السفيهة ويختال على الناس ويتكبّر عليهم ويل له ويل له من عذاب يوم عظيم، يصبه اليوم منه ما يجعله يتجرّع الأدوية والمسكنات والمخدرات ثم في الآخرة العذاب أشد وأبقى، وطوبى وألف طوبى لمن يسّر له الله معيشته، وكفاه القليل مما يحتاجه، وقضى حياته بالتأمل في العلم والإصلاح والصلوة، أين هذا من ذاك، أين مقام هذا العظيم، هذا والله الذي يباهي به الله الملائكة، هذا فخر الإنسانية، فطوبى لهم وحسن مآب.٢٣

لولا الخيال لما كان الألم النفسي، ولولا الخيال لما كان البشر إنساناً، لأن المرء يكون مثلاً في مكان ما على حال ما فيتخيّل أنه في مكان آخر على حال أخرى، فلما يرجع إلى الواقع الآن يرى غير الخيال الذي صوّره وأعجبه، فيصيبه الألم لذلك، وإنما ينجوا الذي يدعوا الله أن يحقق له بما يريد وثم ينظر في الأسباب التي توصله بإذن الله إلى ما يريد، ويسلّم أمره لله، فكم من عامل لأمر ما آخذ بالأسباب الظاهرة ويفشل، والفشل مع أخذ الأسباب أشد بكثير على النفس من فشل تحقق أماني الكسلان، فالألم، العذاب، مع وفي الإنسان حتى يسلم لله، لا مفر من ذلك أبداً "ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين"، وسرّ صعوبة وعظمة جهاد النفس هو الظن أن الأفكار التي تخطر للمرء هي هو، فإن صوت الفكرة يشبه صوت سامع الفكرة حتى كأنه هو، والذي لا يعرف أن الشيطان عدوّه وأن مقرّه هو عالم الأنفس، لأن الله أهبطه من الملكوت إلى الآفاق وأخرجه من الآفاق إلى الأنفس، وأنه لعنه الله يوسوس لإغواء الناس ويعدهم بالفقر ويأمرهم بالفحشاء، يظن هذا الغافل أن الأفكار التي ترد عليه هي منه هو، فهي نفسه، وكم من الناس مستعد ليحارب نفسه بنفسه، وهذا هو التناقض، الذي يحارب هو، والذي يحاربه أيضاً هو، وبسبب هذا الوهم المتناقض يدع أكثر الناس الجهاد في سبيل إتمام النور، فاعلم أن أي فكرة سوء ترد عليك هي من الشيطان وليست أنت، وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلا.٢٤

(٣)الأصل أن الأرض بما فيها وعليها كانت قبل خلق الإنسان العاقل، فلا يحق لإنسان أن يدّعي أنه يملك أرضاً، فالأرض لكل الناس بالتساوي بالحق الأصلي فهم أمناء في الأرض وليسوا مالكين لها، لأن ملك الشيء إما بخلقه واختراعه أو شرائه أو وراثته أو يكون هدية من مالكه، وطالما أن الخالق تعالى هو المالك ولا يصح أن يدّعي أناس أنه وهبهم الأرض هدية منه، إذ هذه دعوى لا يعجز عنها أحد، فلا يملك الأرض إنسان وإنما الناس أمناء فيها.٢٥

علماً أننا خُلقنا للتأمل في الله، وهذه هي الغاية الحقيقية من كل نفس يتنفسه إنسان أو بشر صالح، وحتى يتفرّغ المرء للتأمل ثمة أمور ضرورية لذلك، وهي أربعة، المأكل والملبس، والمشرب والمسكن، وطالما أن الناس العلماء يجب أن يكونوا عالمين بذلك، وطالما أنه هذه هي غاية الحياة عند الإنسان، فيجب أن يُجعل هذا الأساس لكل حياة الناس في كل مكان وزمان، فكل ما كان سبباً لمزيد من الراحة للتفرّغ للتأمل في الله، خلقه وكتابه كان خيراً، وكل ما أبعد عن ذلك فهو شر، وعلى الناس أن تتعاون للخير وأن تجاهد الشر.٢٦

الضروريات من مهن الناس ثلاثة، ماله علاقة بالطعام، كالمزارع والمواشي، وما له علاقة بالملابس، كالخياطة، وماله علاقة بناء المساكن الحسنة، كنظام المياه والمجاري والهندسة، وهذه هي ضروريات المعاش الدنيوي، والضروري من الأمر الاجتماعي هو أيضاً ثلاثة، ما له علاقة بالتعليم، وما له علاقة بحفظ الأمن كالشرطة، وماله علاقة بحل خلافات الناس وهو القضاء، وإن تعاون الناس في أمر المهن الثلاثة الأولى. وحتى لا يحتاج أحد إلى أمور المعاش ويموت فقراً أن يخشى الفقر، وقضوا باقي عمرهم في التأمل وتدارس العلم بينهم والراحة في أرض الله فعندها نكون قد أصبحنا كاملين بحق وكنّا لله عابدين، ولكن ثمة أمور ولابد أن تنشأ بين الناس، وهي الأمراض التي تفتك بقدسية الناس، المرض القلبي، المرض الجسماني، المرض العقلي، فالمرض القلبي بذرته هو عدم الحياة للتأمل، أي أن تكون غاية الحياة عند شخص ما ليس التأمل في الله وإنما أمر آخر يعلم هو نفسه أو لا يعلم، ومن هذا المرض تنبع السرقة والكذب والغش والاحتكار والقتل والحسد والغيرة والعجب، لأن هذه الأمور ضرورية لكن كانت حياته لغير التأمل في الله، كمن يريد أن يكون عالياً بين الناس بأمور المال والشهرة، فغاية حياته هي كسب المال وكسب الشهرة، [فسيجعل] كل شيء يدور حول ذلك، فالخير عنده ما جلب المال أياً كان، والشرّ عنده ما أبعد عن الشهرة أياً كان، فإن ظهر رجل آخر واشتهر بين الناس وسرق منه بعض الأضواء فسيكرهه، وسيعمل على هتك ستره وعرضوا واختلاق الأكاذيب عليه، وإن عُرضت عليه صفقة فيها إضرار بالكثير من الناس والمخلوقات، ولكنها ستأتي له بالمال. فلا مانع عنده، لأن تعريف الخير عنده هو ما يأتي بالمال، ولهذا وأمثاله نقول ونذكّر أن الإنسان الراقي محور حياته ذكر الله والتفكّر في أمره وكتابه، وقس على هذا المثل كل شيء، والمرض الجسماني هو ما يعالجه الأطباء بأنواعهم وبناء المستشفيات وتوفير أمور العلاج الجسماني هو من ضروريات الحياة، والمرض العقلي هو سوء المنطق وعدم الفهم العميق للأمور مما يؤدي إلى تحوير سبب الحياة وغايتها إلى أمور أخرى سيئة، كمن يقول إن أكثر الناس كالبهائم والوحوش، ولا يروّض الوحش إلا السوط والسجن، فلذلك يجوز لي أن أؤمن أن الحق للقوة وأن السياسة هي قمع الناس وتخويفهم بالنار، السيف والسجن والرصاص، وقس على ذلك.٢٧

فالأساس لحياة الإنسان هو أنه يحيا للتأمل والتعلّم. ثم تعاون الناس لتوفير المطعم والملبس والمسكن بأحسن وأسهل ما يمكن وأن يعملوا على تطوير ذلك حتى أقصى حد ممكن، ثم الأطباء

الجسمانيين يجب أن تكون لهم مقارنة راقية بين الناس وتوفّر لهم كل احتياجاتهم لدراساتهم وأعمالهم، ثم يتفرّغ الناس للعلم الروحي، والدعاء، والصلوة، والتأملات بأنواعها، ويكون أساس التعليم الذي يتلقاه الأطفال فما فوقهم هو أنهم خلقوا التأمل في نفس الله وخلقه وكتابه، ويعلموهم أن غير ذلك هو سبيل البهائم والشياطين لأنه بحق كذلك، ولكي يُردع من استحوذ عليه الشيطان يُقام حكومة القضاء، وليلبس كل الناس الذي يحبّون الله تاج المُلك، وليكن هذا التاج، تاج الملك، هو القمة التي يريد أن يحصل عليها كل فرد في نفسه وكل أسرة وجماعة وبلدة.٢٨

أي حزن هذا يصيب الذي يحيا لذكر الله، فإنما الحزن فراق المرغوب والمحبوب، وليس للذاكر العاشق رغبة في غير ذكر الله وليس له محبوب سواه، ما أسعد هذا الإنسان بحق، وما أتعس الذي يحيا لغير الصلوة، أيجعل العاقل ثقته وسعادته في أمر يتغيّر، بل هو يقيني التغير، أما المتأله فلو كان يتنفس فهو يذكر ربّه في نفسه، وإن لم يكن يتنفس فهو ميت فلا يصيبه حزن إن شاء الله، بل هو حي لا يموت. فُتحت له أبواب السماء. فما أسعد وأعظم الذاكرين لله تعالى.٢٩

لا يوجد سبب، لا يوجد سبب، لا يوجد سبب لشقاء الناس، أي شقاء، إلا بأنهم جعلوا حياتهم أساسها غير التأمل فليعلم ذلك الذين يريدون أن يسعدوا ويرتاحوا.٣٠

أصل كل شقاء على الأرض الرجال، فإذن كذلك أصل كل سعادة على الأرض هم الرجال.٣١

من لا يتعلم كتاب الله فلا أخلاق عظيمة له، ومن لا يذكر الله لا سعادة له.٣٢

تقديس النفس هو أن تفنيها في النفس المتعالية، بسؤال الشهود وإطالة الصلوة والسجود.٣٧

لماذا يريد أن يصبح البشر ملوكاً، ثلاثة تلازم كل من طلب المُلك على رقاب الناس واستعبادهم، الحزن والشقاء وسفك الدماء، وسفك الدماء سبب الغمّ الأكبر، والغم هي جهنّم، وكل من يرضى عن شيء فهو منه وله ما له وعليه ما عليه، بل ليس له ماله، وإنما عليه ما عليه وأشد، ألا ترى أن الذي يقعد مع الذين يخوضون في آيات الله بالسوء هم منهم، فالملك ومن حوله من الوزراء والجنود وكل من حولهم ومعهم فيهم ثلاثة لا تذهب عنهم بحال من الأحوال، الحزن والشقاء ونار الغمّ، فلماذا ما يزال البشر يريدون أن يكونوا ملوكاً، هل لأنهم يريدون أن يضمنوا أنهم ستوفّر لهم ضروريات العيش، كالمطعم والملبس والمسكن، لا يمكن، إذ من يعمل بصدق أربعة أيام في الأسبوع ويحيا للتأمل أو حتى غيرهم يوفّر لهم الله ذلك وييسّره لهم، وهل لا يضمن معيشته إلا الملوك، بل أكثر الناس لها وعندها فائض من الطعام يجعله كالفيلة وغيره، وليس هؤلاء من الأغنياء فضلاً أن يكونوا ملوك، لماذا إذن، هل لأنهم ذاقوا العلو على الناس، فزيّن ذلك في قلوبهم، نعم، ولأنهم يريدون أن يكونوا من الخالدين في التاريخ، يريدون أن يذكرهم الناس، وهم في صدورهم

يجعلهم يستحسنون ذلك، بل هو خير إن كان عن صدق، أليس إبراهيم دعا "واجعل لي لسان صدق في الآخرين" لا معصية في ذلك ولا سوء، وإنما السوء أن يُطلب ذلك بسفك الدماء وتفريق الناس وجعلهم جهلة وحمير، إن الشيطان وعدهم أن "تكونا من الخادين" إذا طلبوا "ملك لا يبلى"، كل ملك في تاريخ البشر فيه هذا الوعد ويعمل ويتحمّل كل شيء في سبيله، يتمنّى أن يخلّد ذكره في الناس، لعله لأنهم يعلم في قرارة نفسه أن ذكره مبتور في السماء للسوء الذي يفعله ويعمله، ويتمنّى أن تكون دولته ومملكته خالدة لن تبلى، وهل وقع ذلك لأحد حتى اليوم، أعظم الممالك سقطت، سواد بتأثير داخلي، كالثورات والانقلابات والتحزبات والتصارع على العرش المشؤوم بين أسرة الملك المزعوم، أو بتأثيرها خارجي، كالغزو وما يُسمى بالفتوحات، ومع ذلك لا ينظر البشر السفهاء إلا إلى وهمهم، ولا ينظروا كيف كان عاقبة المكذبين من قبلهم.٣٨

طلب المُلك لا تمنّيه هو مرض البشر الأكبر، وهو وسوسة الشيطان العُظمى، فالبشر بين طالب له يفعل كل شيء في سبيل ذلك حتى ولو كان قتل ابنه بيديه، وبين مُتمنٍ له يتصرف وكأنه طاغية في بيته مع أسرته ومع من يعملون عنده ومع من حوله، بئس للظالمين بدلاً. ٣٩

لو يجاهد المؤمنون في سبيل إعلاء كلمة الحق كما يجاهد الكفّار في سبيل تحقيق وهم الشيطان لكان لا حاجة بنا إلى الجنّة.٤٠

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم

تأملات في

سفر آدم (٢)

(١)لماذا ذكرت قصة آدم بعد ذكر خلق السماوات والأرض كما في سورة البقرة المباركة، لأنه إنما خلقت السماوات والأرض من أجله.

فالنفس المتعالية أظهرت الملكوت، العالم الأعلى، والعالم الأعلى خلق العالم الأدنى التام الظلمة، وأنما سيقع ويتحقق قدر الخلق، السعادة التامة، إذا تم اتحاد وتزاوج العالم الأعلى والأدنى، والمسؤول المكلّف باتمام هذا الاتحاد، ولي هذا النكاح الرباني، هو آدم، فآدم سبب تمام قدر الخلق، فآدم سبب تحقق السعادة التامة لكل الخلق، وإنما ظهرت المخلوقات في النفس المتعالية لأنها أرادت إعطاء السعادة التامة، وهذا معنى أن كل شيء خلق من أجل آدم.

(٢)من الذي خلق آدم، الروح، الرب الأعلى، لقوله "إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً" و"ربك" هو الروح، إذ يقول "ونفخت فيه من روحي" فالرب إما مركب من شيء وروح، أو بسيط ووحدة فيكون فقط روح، والتركيب لا يكون إلا لمن تلبس بظلمة العالم الأدنى، إذ الروح من الأعلى والجسم من الأدنى، وأيضاً التركيب دليل نقص في الاعتبار الأكبر، والرب متوحد منزه عن ذلك، فقوله "من روحي" يدل على أن الرب هو الروح، ولذلك لا يوجد في القرآن كلمة "روحان" أو "أرواح" لا يكون إلا واحد، لأنه لا يوجد إلا روح واحد، هو الرب لا شريك له.

(٣)مم خلق آدم: من أمرين، طين وروح، الأرض والسماء، جسم وعقل، العالم الأدنى والعالم الأعلى، يقول "من طين" وَ "ونفخت فيه من روحي" وهذا النفخ هو قوله "وعلم آدم الأسماء كلها"، وهي النبوة، ولذلك قال ثلاث مرات، "أنبئوني" "أنبئهم" "أنبأهم" فآدم إذن جسم ونبوة.

لماذا قدّم ذكر الطين على الروح: معنى ذلك أن جسم آدم خلق قبل روحه، هذا يدل على أن آدم خلق في العالم الأدنى، ثم أوتي العلم، نفخت فيه الروح وهو في العالم الأدنى، وبذلك أصبح حياً في العالم الأعلى. وبما أن آدم كان يتكلم من الملائكة والرب ويعلمهم، وسجدوا له، مع أنه كان في العالم الأدنى من حيث جسمه، فاذاً الحياة في الملكوت لا تعني الموت، أو أنه لا يستطيع أحد أن يحيا في الملكوت إلا إذا تخلص من الجسم، لا، وإنما العقل هو كائن حي في الملكوت، هذا إن كان حياً، فكما أن الجسم الحي يحيا في العالم الأرضي مع الأجسام، يراهم ويرونه، يذهب ويجيء. فكذلك العقل إذا أصبح حياً، بنفخ الروح من الرب، فإنه يصبح يرى أهل الملكوت ويرونه، يذهب ويجيء، يجالسهم ويجالسونه، فالمسألة ليست مسألة أمكنة، فوق وتحت كما نفهم بحسب

عالم الأجسام، وإنما لكل عضو في الإنسان عالم يسكن فيه، والتوحد بين العالمين هو الكمال "وجمع الشمس والقمر".

(٤)"قال إني أعلم ما لا تعلمون" ثم قال "ألم أقل لكم. إني أعلم غيب السماوات والأرض. وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون".

بحسب ظاهر القول، الجملة الأولى تختلف عن الجملة الثانية، فكيف قال "ألم أقل لكم إني أعلم غيب" هل من الباطل إذا ردّوا وقالوا "لا يا رب لم نقل ذلك إذ إنما قلت "إني أعلم ما لا تعلمون"" هذا يدل على أن كل كلمة من كلام الله تستبطن معاني لا يراها الذي ينظر إلى ظاهر الكلمات. بل وحتى الحرف الواحد، ولذلك ترى أن الكلمة الواحدة من القرآن قد تستبطن علماً يحتاج شرحه إلى كتاب مستقل، مع أنه بحسب الظاهرة قد يقول الحما، "ما علاقة هذه الكلمة بهذا الكلام الذي تقوله، أتحرّف كتاب الله، لماذا تقول ما لم يقله الله في ظاهر النص".

قارن لتعرف، يقول في الأولى "إني أعلم" وفي الثاني "إني أعلم" فهذه تتساوى، ثم يقول "أعلم ما لا تعلمون" وثم في الجهة الثانية يبين ماهية هذا الذي لا تعلمه الملائكة فيقول "غيب السماوات والأرض. وأعلم ما تبدون وما تكتمون" وبما أنه أضاف كلمة "وأعلم" في الخطاب الثاني "وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون" فمعنى ذلك أن هذه جملة أضافها الله في خطابه الثاني وليست مما يعنيه بقوله "أعلم ما لا تعلمون" إذ ظاهر أن الملائكة تعرف ما تبدي من أمور ما تكتم إذ "الإنسان على نفسه بصيرة" والذي لا يعرف ما يبدي من أمور مجنون، فإذا معنى "أعلم ما لا تعلمون" هو "غيب السماوات والأرض"، وآدم إذاً يعلم "غيب السماوات والأرض" ولذلك قال "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول" وآدم رسول إلى الملائكة لقوله "يآدم أنبئهم بأسمائهم" و "ما على الرسول إلا البلاغ المبين".

فقوله "وعلم آدم الأسماء كلها" يدل على أن علم الأسماء هو علم الغيب، فما علاقة الأسماء بالغيب: يقول الله "سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق" فالاسم هو الذي خلق، إذ النفس المتعالية من حيث الذات وحدة بسيطة، أما الزوجية والكثرة فمن حيث الأسماء الحسنى، ولذلك يوجد في الأسماء الحسنى "المعز المذل" و "القابض والباسط" الزوجية، وبالأسماء يتم الخلق، إذ الخلق كله زوجية، "ومن كل شيء خلقنا زوجين"، فكل ما في الخلق هو الأسماء الحسنى وآثارها "انظر إلى آثار رحمت ربك كيف يحيي الأرض بعد موتها". فالأسماء هي الغيب، إذ الأمور تبدأ من الغيب نزولاً إلى الشهادة مروراً بكل الدرجات التي في الخلق "يدبر الأمر من السماء إلى الأرض" فهوية الأسماء وحقيقتها هي في أبعد درجة في الخلق، وهناك النبع الأصلي إن شئت، ثم تبدأ آثارها في التنزّل إلى أسفل سافلين، فالعلم بالخلق وسننه وأسراره هو العلم بالأسماء الحسنى، فمن علم اسماً فقد علم أمراً، ومن علم الأسماء كلها فقد أوتي غيب السماوات والأرض،

وأوتي العلم بالخلق كله، ولذلك استحق أن يكون مسؤولاتً عن أمانة اكمال العالمين، وتحقيق السعادة التامة "وعلم آدم الأسماء كلها".

والذي علم هو الرب، الروح الأعلى، أعلى الخلق ورفيع الدرجات ذو العرش، الفرد الواحد، ولم يقل "وعلمنا آدم" كقوله "إنا أعطيناك الكوثر" بالجمع، وإنما جاء بالفرد "وعلم آدم" وهذا يدل على أن علم الغيب، علم الأسماء، يجب أن يكون من أعلى درجة في الخلق، إذ هناك المقام الأعلى وسدرة المنتهى، فلا يؤتى إلا مباشرة، لا بوساطة ولا شيء إلا الوحي المجرد من الرب "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً".

وكونه قال "وعلم آدم" فبذلك أشار إلى المصدر الفرد، ثم "الأسماء كلها" الكثرة والخلق، فالفهم أنه على المتأله أن يرى الوحدة عين الكثرة، ولا يتشتت بالكثرة ويظن أن الأمر مختلط وأنه عبث والعياذ بالله، كلا، ولكن الأمر وحدة، كجسم الإنسان بأعضاء كثيرة متوحدة.

فإذن أساس الإنسان العلم بالغيب كلّه، والناس بذلك يصبحون ثلاثة لا رابع لهم، فرجل عنده علم الغيب فهو يرى، ورجل يرغب في أن يتعلم الغيب فهو يسعى، وغبي لا فائدة منه في حقيقة الأمر كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

(٥)يقول القرآن "وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر. إذ يعدون في السبت. إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً" فكلمة "إذ" تبين الأمر أكثر، فإذن بما أن القرآن ذكر خلق السماوات والأرض ثم بدأ بقصة آدم بقوله "إذ يدل على أن أحد وجوه قصة آدم أنها رموز على عملية الخلق، فهي تبين عملية الخلق بطريقة أخرى، ليزداد الأمر وضوحاً، كما وعد سبحانه بقوله "وفصلناه تفصيلا".

قبل عوالم الخلق الثلاثة، الملكوت والآفاق والأنفس، لا يوجد ولم يكن ثمة إلا عالم واحد، عالم الواحد، العلي العظيم "هو الأول والآخرة والظاهر والباطن. وهو بكل شيء عليم" هذا هو العالم الأول، ثم "هو الذي خلق السماوات والأرض" فالتغير من الآية الأولى إلى الثانية هو أكبر سؤال في الإمكان، فهذه النجمة، رقم (٣) التي بين آية "هو الأول والآخر" و بين "هو الذي خلق" تحوي كل علم ورغبة في الوجود كله، فهي البحر الأعظم الذي يرغب فيه كل من له عقل وقلب.

العالم الأعلى هو الذكر. والعالم الأدنى هو الأنثى. وهذه الزوجية عالم الخلق. أما العالم الأول فهو الوتر فوق الزوجية، وعندما يتحد الذكر والأنثى تنشأ الحالة التي تشبه حالة النفس المتعالية، الوحدة التامة، وبما أن آدم من العالم الأدنى والعالم الأعلى، من الطين والروح، فإذن آدم هو الوتر الواحد، فهو رمز على النفس المتعالية في مقام الوحدة.

وزوج آدم هي رمز إذاً على عوالم الخلق، إذ كل ما في عوالم الخلق هو عطاء من العالم الأول، النفس المتعالية، فإذاً آدم رمز النفس العلية وزوجه رمز على عوالم الخلق.

يوجد في المثل أربعة أشخاص، الرب وَالملائكة وَآدم وآ إبليس، وزوج آدم ظهرت بعد مثل السجود، فاذاً أربعة شخصيات نورانية روحية، وشخصية نارية كافرة، فخمسة.

ولذلك كانت الأمور النورانية في القرآن دائماً أربعة، كأنهار الجنة، والعوالم الأربعة، والذين اصطفاهم اله، وكذلك في سورة الحمد، لا تتجاوز الآية أربعة كلمات، إلا الآية التي ذكر فيها المغضوب عليهم والضالين، وكذلك في اليهود، الذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، أرادوا خمسة.

الرب والملائكة في العالم الأعلى يوازيهم آدم وزوجه في العالم الأدنى.

"إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون".

"هو" هو الرب، "أراد"، "شيئاً"، "يقول"، "أمر". هذه خمسة، وهي الآية التي بين قبل الخلق والخلق.

العطاء نور، والآخذ في ظلمة، فالأربعة رموز على النور، وإبليس رمز على الآخذ.

وبما أن زوج آدم هي رمز على الخلق، أي الذين يأخذون من الرب. وإبليس كذلك رمز على الخلق لأنه آخذ، ولا يكون الآخذ إلا مخلوق. فإذن الخلق الذي يقبل عطاء العالم الأعلى هو زوجة آدم، والخلق الذي لا يقبل الملكوت هو إبليس، فإبليس هو الطاغوت.

فيوجد نوعان من المخلوقات التي خلقتها النفس المتعالية، مخلوقات ستقبل النور رمز لها بزوجة آدم، ومخلوقات ستبقى في الظلمات رمز لها بإبليس، ولا يوجد ثمة إلا أحد هؤلاء.

يقول في العالم الأول "وهو بكل شيء عليم" فكل الأشياء موجودة في العلم التام الأول، فلا يوجد خلق من عدم وإنما الخلق من علم، اعرف هذا جيداً، كل الأشياء يعني كل الممكنات والاحتمالات، كما أنه في علمك يوجد فيل أخضر وأحمر وأصفر ومخلوط من ذلك، وفي قدرتك أن تخلق في خيالك أي هؤلاء شئت، ولكن لا يظهر في خيالك إلا ما شاءت إرادتك، فتقول له كن فيكون، فافهم، فاذا خلقت الفيل الأحمر فقط، فاذن الفيل الأخضر والأصفر ما زالات في ظلمة العلم الغيبي، أي الذي لم تشرق عليه نور الإرادة فيظهر في صورة الخيال، فكذلك ما خلقته النفس المتعالية من

الممكنات وما لم تخلقه، ما قبل نور الخلق، أي الإرادة العلية فهو ما رمز له بزوجة آدم، وما لم يقبل النور فهو من إبليس.

. إذاً آدم هو النفس المتعالية، وزوجته هي كل المخلوقات، وإبليس هو باقي الممكنات المعلومات.

. الملائكة هم نور الإرادة العلية، التي يأمرها آدم أن تخلق ممكناً معيناً ويجب عليها أن تستجيب لأمره، وهذا معنى سجودها لآدم.

الرب هو الروح، والروح هو المعين لقدر الخلق، أي الغاية التي سيصل إليها، إذ تحديد الغاية يسبق الخلق، فأنت تحدد الغاية من عمل ما، ثم تذهب وتعمل هذا العمل وكل ما يوصل إلى الغاية، كمن يريد أن يبني مسكناً، يحدد أولاً المسكن والغاية من خلقه، وهي أن يرتاح فيها الإنسان الطيب، فبما أن هذه هي الغاية فستقوم بالبناء وكل خطوة من مراحل البناء على أساس هذه الغاية، فوضع القدر قبل الخلق للشيء فعلاً، وكذلك النفس المتعالية قبل أن تخلق الخلق وضعت وحددت غاية الخلق، السعادة التامة، ثم خلقت الأشياء ووضعت الأحكام التي سيسير عليها الخلق لضمان الوصول إلى الغاية، فالرب هو قدر الخلق.

*إذاً آدم هو النفس المتعالية، والروح هو قدر الخلق، والملائكة هم نور الإرادة العلية، وزوجة آدم هي المخلوقات، وإبليس هو باقي الممكنات.

ولكن هذا يصح. لأن المثل يقول أن الرب خلق آدم. والنفس المتعالية هي التي حددت قدر الخلق ثم وضعته في الخلق، فبهذا يكون الحق أن الرب هو النفس المتعالية وآدم هو قدر الخلق. نعم والله هذا هو الحق الذي يكشف عن الحق.

(*) {فإذاً الرب هو النفس المتعالية، الملائكة هم نور الإرادة العلية، وآدم هو قدر الخلق، وزوجته هي المخلوقات، إبليس هو الممكنات}.

فلا مخلوق إلا وهو نور الحق، وإنما إبليس توهم أمر ليس بمخلوقاً في الواقع، فيأتي من الممكنات العلمية، فيجعل الناس تتوهم باطلاً، كفكرة العبث وأن الخلق ليس متجه إلى السعادة التامة. وما أشبه.

إبليس ضد آدم، وآدم قدر الخلق، السعادة التامة، فإبليس كل ما ينويه الناس مما يغير إيمانهم بحقيقة قدر الخلق.

(١٦)يقول الله "لا تزر وازرة وزر أخرى" ويقول "اسكن آنت وزجك الجنة" ويقول "وعصى آدم ربه فغوى" فمعنى ذلك أن زوج آدم مازالت في الجنة، إذ كيف تطرد بذنب لم تفعله، ولم يقل القرآن "وعصى آدم وزوجه" ولكن نسب المعصية لآدم وحده.

نعم ولكنه قال "فأكلا منها"، إذاً لماذا لم تذكر معصية زوج آدم في قوله "وعصى آدم ربّه فغوى" فالمعصية كلها تنسب لمن دعا إليها وابتدءها، ولكن يعاقب عليها كل من ارتكبها، "يوم ندعو كل أناس بإمامهم". "يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار".

هل يمكن اعتبار أن آدم وزوجه واحد، ولذلك لم يذكر غير آدم: مطلقاً لا يصح كون الزوج والزوجة واحد، إذ امرأة فرعون ليست واحد مع فرعون، وامرأة نوح ليست واحداً مع نوح، فالفرق بين الرغبات يؤدي إلى التفريق بين الزوجين، والرّضى بالرغبات يؤدي إلى توحد الزوجين، إذ زوج آدم رضيت به، أي رضيت برغبته في الأكل من الشجرة، ولذلك اعتبرهما الله واحد.

فالزواج أن تجد من رغباته كرغباتك، أو على الأقل أنت تحب رغباته، وإلا فليس بزواج حقيقي، وكل طلاق جذره اختلاف الرغبات.

(٣)بما أن الامداد بحسب الاستعداد، فقوله في المشهد الثاني "وعلم آدم الأسماء كلها" يدل على أنه كان في آدم الاستعداد لتعلم الأسماء كلها، فما هو سبب استعداد، إذ الاستعداد بحسب الاجتهاد، فلاشك أن هذا السر في المشهد الأول إذ ليس قبله مشهد.

الآية الأولى من بداية قول الرب "إني" هي ١٤ كلمة، والثانية ١٧ كلمة، والثالثة ٥ كلمات، ثم ٥ كلمات، ويوجد في الكل ٢ واو، هذا هو تكوين آدم.

١٤ كلمة هي رمز الأنوار ١٤، وهي الحروف الفواتح للسور في القرآن،
١٧ كلمة هي رمز المحرمات ١٧، وهي أحكام الرب في الحياة عامة،
و١٠ كلمات هي رمز شجرة النبوة الشجرة المباركة، ففي قوله "يوقد من شجرة مباركة" هي عشرة أحرف في كلمتين. وكذلك هنا ١٠ أحرف في كلمتين، الأولى "إني جاعل في الأرض خليفة" والثانية "إني أعلم ما لا تعلمون".
وحرف الواو الأول في قوله "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي" يرمز إلى الرابطة بين العالم الأدنى "سويته" والعالم الأعلى "نفخت فيه". إذ آدم هو ولي اتحاد العالم الأدنى بالأعلى. وكذلك الواو الثانية.

والقرآن يقول عن الشمس أنها هي التي تغرب وتشرق، وينسب الفعل لها، مع أنه في عالم الآفاق الشمس ثابتة باعتبار والأرض هي التي تدور، فاذا دارت إلى الشمس من ناحية أشرقت الشمس

في هذه الناحية، وإذا دارت أصبحت الناحية الأولى ليلاً، ففي الحقيقة الأرض هي سبب النور والظلم فيها، والشمس ثابتة تعطي نورها لكل من يتوجه إليها، فلماذا نسب الإشراق والغروب للشمس.

حتى نعلم أن فعل الله هو فعل الإنسان، بمعنى أن الله إذا قال أنه فعل كذا فهذا يدل على أن المفعول به هو الذي فعل أمراً استحق به أن يفعل به ما فعل، فاذا قال القرآن أن الله أهلك قرية فمعنى ذلك أن هذه القرية فعلت أموراً فتحت عليها الهلاك، أي أصبح عندها الاستعداد للهلاك فجاءها الامداد بسبب طلبها واستعدادها.

فهنا عندما يقول "إني خالق بشراً من طين" فهذا يدل على أن آدم فعل أمراً ما، مرموز داخل هذه الكلمة، وكذلك في الباقي.

ما هو الطين: هو تراب وماء مجتمعين في محل واحد. والتراب مادة البناء، والماء ما يُشرب وسبب الحياة "وجعلنا من الماء كل شيء حي"، والعقل هو البناء لأن التفكير كالبناء من حيث أنه يبدأ بقواعد ويتسلسل في التحليل أو البناء حتى يصل إلى نتيجة أو منهج ما، والقلب هو محل الذكر، ذكر الهوية العلية، فهو الوجه الذي تظهر فيه النفس المتعالية، وهذا هو باطن الإنسان، العقل والوجه، قلب يعقل ووجه هو حقيقة الإنسان، وهذا معنى التراب والماء، أو قل الماء والتراب، الذكر والفكر، فالطين هو أن يبني الإنسان حياته على أساس الذكر والفكر، وليس اللعب والمال وما أشبه، بل الذكر والفكر، فكل من جعل محور حياته ذكر الله والتفكر في أمره فهو آدم.

والصلصال هو الفكر العميق الذي له أثر واضح في حياة الإنسان، وليس مجرد أفكار وكلام فارغ يقضي به المرء وقته، بل الفكر الذي يراد منه تغيير الحياة وتحسينها، فتصبح له صلصلة كصلصلة الجرس، صوت عال، أثره واضح.

والحمأ هو رمز نار العشق التي تحرق وجه الإنسان من ظهور النفس المتعالية عليه، فصبح كإبراهيم، وهو من آثار بل أهم آثار الذكر الدائم لله.

ومسنون تشير إلى السنين، وهي المدة الطويلة، فالفكر العظيم والذكر العظيم لن يتم إلا بعد مدة طويلة فلا يظن الإنسان أن الوصول إلى المقام الأعلى يتم في أيام، أو شهور، بل من جعل كل حياته على الذكر والفكر فهذا الذي يعده الله بأن يبلغ إلى الأرض المقدسة، وأيضاً تشير إلى التحديد، لأن الشيء المسنون هو المحدد الذي يحدد، كأسنان الفم، وكذلك على الإنسان أن يحدد على ماذا سيقيم حياته، وهذا الذي حدّده هو الذي سيحدد به كل الأمور الباقية في حياته، ومن لا يحدد فقد حدد الشيطان.

فهذا هو استعداد آدم، رغب في أن يقيم حياته على الذكر والفكر، ثم رغب في إصلاح المجتمع، فحقق الرب له رغبته "اسكن أنت وزوجك الجنة".

(٨)لا كلام في غير الأسماء، النفس المتعالية لا يجوز الكلام فيها، لأنها عين الكلام والسماع والمتكلم وكل شيء، ولا يصح عنها شيء من الأسماء، لأن الاسم حد ولا حد لها. وعالم الأنفس هونحن، والعالم الأعلى هو ما يجب أن ندرسه والعالم الأدنى هو الذي يجب أن نصلحه بالعالم الأعلى، فاذاً من الآن فصاعداً لا كلام إلا عن العالمين، الأعلى والأدنى، وأي شيء سوى ذلك هو من الضلال لا محالة، فمهمتنا هي دراسة العالم الأعلى لإصلاح العالم الأدنى لا غير.

(٩)إبليس من لم يدرس العالم الأعلى، أو درس العالم الأعلى ولم يسعى لإصلاح العالم الأدنى، وآدم من درس العالم الأعلى لإصلاح العالم الأدنى. "وعلم آدم الأسماء كلها".

كل من رغب في دراسة العالم الأعلى فقد بدأت نبوته، ولذلك يوجد نبي من الفاسدين ويوجد نبي من الذين أسلموا، في قوله "ونبياً من الصالحين" فاذاً يوجد نبي ليس من الصالحين، وقوله "يحكم بها النبيون الذين أسلموا" فيوجد نبيون لم يسلموا، وهم من لم يسعى لإصلاح المجتمع بنور الملكوت.

فهذا هو ديني وهذه هي ملّتي "دراسة العالم الأعلى لإصلاح العالم الأدنى" والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(١٠)لا يوجد أي قول لآدم أو زوجه في المشاهد الستة الأولى من القصة، إلا إشارة واحدة في المشهد الثاني في قوله "فلما أنبأهم بأسمائهم"، ومع ذلك لم ينقل لنا قولاً صريحاً لا من آدم ولا من زوجه.

ولكن بعد أن قال الرب "اهبطوا بعضكم لبعض عدو" ذكرت دعوة آدم وزوجه "قالا ربنا ظلمنا أنفسنا"، فما سر ذلك كله.

الدعاء دليل البعد عن الرب، فبعد الطرد ذكروا ودعوا الرب، وغاية الدعاء تحصيل مرغوب، ووجود الرغبة الغير متحققة فولد الألم، فإن وجد الدعاء وجد معه الألم.

أما قبل الهبوط والمعصية فلم يكن آدم يدعو ربه، بعد المعصية بدأ يدعوه، فمن كان في حالة السلام مع الرب، أي في الجنة، فإن العطايا تأتيته من كل حدب وصوب بدون دعاء ولا سؤال.

ولكن أليس الاستعداد سبب الامداد، والسؤال والرغبة مظهر الاستعداد، فكيف تأتي العطايا بدون سؤال، أليس هذا تناقضاً، الجنة لا سؤال فيها ولا تنال الجنة إلا بالسؤال.

يجب أن نفهم ماهية الجنة وماهية المعصية قبل أن يتبين الأمر.

الإنسان إما في الحياة الدنيا أو الحياة الآخرة العليا، أي ما هي الأولوية عنده، أهي للمعرفة أو للعب.

فالذي يحيا من أجل المعرفة هو الإنسان الصالح ساكن الجنة، والذي يحيا من أجل اللهو واللعب فقط هو العاصي المطرود من الجنة، الذي هبط من علياء العلم إلى أسفل سافلين الجسم، فهذا قد جعل الأولوية للجسم، بل [ألغى] القلب ولم يبالي بغير الجسم، فصار كالأنعام بل أضل سبيلا.

وآدم هو الذي يختار حياة المعرفة، وهو معنى الطين، الماء الذي هو الذكر والعلم بالنفس الإنسانية، والتراب الذي هو الفكر والعلم بالمظاهر الطبيعية الآفاقية، فاختياره لحياة المعرفة هو السؤال الأكبر والاستعداد الأعظم الذي يجعل الرب يعطيه كل شيء حتى العرش نفسه، ولذلك لم يحتج أن يسأل ويدعوا وهو في الجنة، لأن الدعاء هو طلب دخول الجنة، فإن كان فيها فكيف يطلبها، ولذلك لم يدع آدم ربه إلا بعد أن هبط من حياة القلب إلى حياة الجسم والجهل.

فماذا عن قوله عن أهل الجنة "دعواهم فيها سبحانك اللهم" هذا دعاء طلب الزيادة وليس عن شعور بالعذاب والسوء كما هو حال المطرودين، كالملك الذي يجلس في البستان فيقول لخادمه "أعطني من هذا الفتاح الأخضر وهذا العنب الأحمر" هل يستوي هو والفقير الواقف عند باب البستان ويقول "أعطوني من هذا التفاح الأخضر وهذا العنب الأحمر"، هذا هو الفرق بين دعاء أهل المعرفة ودعاء الشياطين.

وهذا معنى سجود الملائكة لآدم، فالملائكة هم أنوار المملكة الإلهية، أي أسرار المعرفة وتفصيلاتها، سواء ما تعلق منها بعالم الأنفس الإنسانية، أو عالم الآفاق الطبيعية، ولا يوجد أحد يدرس إلا هذين العالمين، والسجود هو التسليم التام، فسجود الملائكة لآدم هو تسليم المعرفة كلها للناس الذي سيختارون حياة المعرفة على حياة اللهو واللعب الدنيا.

فإن كان آدم هو الذي اختر حياة المعرفة والعطاء، فإبليس هو الذي اختار حياة اللعب والأنانية، ولذلك لن تجد شر في هذا العالم، سواء الآفاقي أو الأنفسي، إلا وسببه جهل أو أنانية، من أصغر الأمور إلى أكبرها، فذرية آدم هم أهل المعرفة فقط، وليس كل من له جسم بشري كما يحرّف الجهلة، وذرية إبليس هم أهل الأنانية حتى لو رفع القرآن على رأسه وضمّه إلى صدره، والتكريم مختص بابني آدم فقط، أما ذرية إبليس فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كل داع إلى حياة المعرفة آدم، وكل داع إلى حياة الأنانية إبليس، هذا حزب وهذا حزب، ولا يوجد في العالم إلا عطاء وأنانية، فمن غلب عليه العطاء وكان من الحزب الأول، ومن رجحت أنانيته كان من حزب الشيطان، و "إن إلى ربّك الرجعى".

(١١)ما معنى قول إبليس "أنا خير منه" وما معنى تعلق قوله هذا باللعن من الرب والاخراج من الجنة، هذا ليعلم الناس أن من فضل حياة اللعب والأنانية على حياة العطاء والمعرفة فإنه لن يسعد في حياته وهذا حكم قاطع.

النار تلتهم وتغني، أما الطين فيبني، وهذا هو الفرق بين الأنانية الجسمانية والعطاء القلبي، إذا أكل جسم رجل هل سيشبع من يجلس بجانبه، هذا معنى الأنانية، أما العطاء فلو أخذ كل إنسان ما يحتاجه وأعطى الباقي لمن حوله، وكل رجل فعل مثل ذلك، فهل سيبقى أحد محتاج، هذا هو البناء، يُبنى المجتمع المقدس بالعطاء، وينهدم أعظم المجتمعات بالأنانية، وهل كل سفك الدماء والإفساد في الأرض إلا مظاهر الأنانية، وقتل حياة المعرفة، أما المعرفة فكلما أعطيت كلما زادت معرفتك، إذ تبدأ في البحث عن معرفة جديدة، ويبصرك المستمعون بأسئلتهم وحالاتهم، ويزداد رقي الناس وتتيسر معيشتهم، وتنال اللذة الحقيقية من القلب فيضحك الناس ويفرحوا.

أكثر الناس على مر التاريخ حتى يومنا هذا تسير على مبدأ إبليس في حياتها "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" فلا غرابة فيما نرى من كآبة وتعاسة، وهل بعد الجنة إلا الجحيم.

ولن يستطيع إنسان أن يحيا حياة المعرفة في مجتمع أكثره يحيا حياة الأنانية، فإنه لو أعطى ما عنده، فأخذ الناس منه، ولم يعطوه شيئا فماذا سيفعل، سيقعد ملوماً محسوراً، ولذلك على كل من يختار هذه الحياة أن يدعوا إليها، ويقوم بها قدر المستطاع، وفي نهاية تطور المجتمع الإنسان سيصل الناس إلى الطور الأخير، المسيح، عندما تصبح الحياة الأنانية الإبليسية نادرة كندرة حياة المعرفة في الأيام التي قبلها، والوصول إلى هذا إما بالعمل والدعوة وإما بألم الفقر والحروب والقهر، فلينحر الناس ما يشاؤون لأنه إنا لله وإنا إليه راجعون، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والمجتمع الذي أكثره ودعاته من أهل الجهل واللعب سيؤثر على أهل المعرفة كتأثير إبليس على آدم، شيئاً فشيئاً سيضطر أهل المعرفة أن يلعنوا الجنة ويبحثوا عن لقمة العيش ويسايروا المجتمع في عاداته وأعماله، فويل لهذا المجتمع الذي فتن المؤمنين بالعالم الأعلى، وويل لدعاته من عذاب جهنم الفقر والغم والحروب التي ستقوم فوق رؤوسهم وما حولهم، واعتبروا بمن فات حتى لا تكونوا أنتم عبرة لمن سيأتي.

يبدأ مجتمع المعرفة برجل واحد، يعلم الناس، فإما أن يسجدوا ويقبلوا هذه الحياة وإما فصاحبهم إبليس، حتى يأتي اليوم الموعود، يوم تصبح رغبات أكثر الناس متعلقة بالعالم الأعلى.

(١٢)"فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما" ما هي السوءة. يقول في نبأ ابني آدم "أواري سوءة أخي" بعد أن قتل أخاه ولم يدفنه، فالسوءة هي الجسم الميت، أو الجسم مطلقاً لقوله "أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم" يخاطب بني آدم الأحياء، فإذن السوءة هي الجسم. وليس بعض الجسم، لأن ابن آدم القاتل لم يكن قصد أن يحثوا التراب على ما يسمّى بالعورة فقط، بل دفن الجسم كله.

نخلص إلى أن السوءة هي الجسم كله.

ويذكر القرآن السوءة بالمؤنث، وفي قوله "بدت لهما سوءاتهما" وليس "بدا".

الجسم والتأنيث كلاهما رمز على الأنانية والأخذ، لأن صفة الجسم هي أنه يأخذ لنفسه ولصالح نفسه، فاذا أكلت أنت الذي بجانبك لا يشبع، والتأنيث لأن المرأة تأخذ من الرجل المني، *فالسوءة هي الأنانية.

...

(١٣)"فسجد الملائكة كلهم أجمعون" لو قال "فسجد الملائكة" لكان ذلك دليلاً كافياً على أن كل الملائكة سجدوا، لأن "أل" للاستغراق، كقوله "المؤمنون" مثلاً، أو "وسلام على المرسلين" فذلك يدل على أن المرسلون كلهم عليهم السلام، ولم يحتج الأمر إلى أن يقول "وسلام على المرسلين كلهم أجمعون" فلماذا زاد "كلهم أجمعون". لأن الملائكة درجات وليسوا كلهم على مرتبة واحدة.

يوجد ثلاثة مقامات للملائكة، الرؤساء والوزراء والجنود.

الرؤساء كجبريل وملك الموت، والوزراء هم الواسطة بين الرؤساء والجنود، كما أن هارون بين موسى وبني إسرائيل "أخاه هارون وزيرا"، والجنود هم الذين ينفذون الأمر، كقوله عن ملك الموت "يتوافكم ملك الموت الذي وكّل بكم" فالرؤساء هم الوكلاء> ولكل أمر معين رئيس أو وكيل عن العلي فيه، كالموت وكيله ملك الموت، ولكن تنفيذ أمر التوفي هو للجنود، ولذلك قال "الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم".

فإذن هذا هو العالم الأعلى حاكم كل شيء، الرب والوكلاء والوزراء والجنود.

الرب مجمع الأسماء الحسنى وعينها، والوكلاء وهم الملأ الأعلى، والوزراء أعوانهم، والجنود ليس لهم إلا تنفيذ الأمر.

"بسم الله الرحمن الرحيم": "بسم" الرب "الله" الملأ الأعلى "الرحمن" الوزراء، ولذلك قال هارون الوزير "إن ربكم الرحمن" أما موسى فكان يقول "الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما" لأنه رمز الملأ الأعلى "لا تخف إنك أنت الأعلى"، "الرحيم" الجنود.

فقوله "فسجد الملائكة كلهم أجمعون" لآدم، يدل على أن كل نور في العالمين، الأعلى والأدنى الحق مسخر وموهوب وأمانة للإنسان، لأنه خليفة الرب الأعلى، فهو قائم مقامه، أجلسه على عرشه، "وجعلكم ملوكاً".

وهذا الاستخلاف تم في قوله "وعلم آدم الأسماء كلها" لأن الأسماء الحسنى هي القوة التي تحرّك العالمين، وهي روح الرب نفسه، أي حقيقته وجوهره، وكله حق وكله جوهر وكله روح، واحد أحد، كثرة في وحدة ووحدة في كثرة، رب كل شيء.

*فإذن، الرب الأعلى والإنسان قائم مقامه، والملائكة الرؤساء الوكلاء، والملائكة الوزراء الوسطاء، والملائكة الجنود المنفذين لعين الأمر، هذا تكوين كل شيء.

...

(١٤)من هو "إبليس"، عرفنا أن العالم الأعلى يحكم الأدنى، وأن حكم العالم الأعلى هو الملأ الأعلى، الرب والملائكة الوكلاء، كملك الموت وملك الوحي، وإبليس كان له جنود "وجنود إبليس أجمعون" فإبليس ليس في مرتبة الجنود.

فهو إما من الوكلاء أو من الوزراء، ولو كان من الوزراء لما كان له إلا طاعة رئيسه، ولما خاطبه الرب نفسه، إذ الرب يكلم الوكلاء وهم يعلمون بأمره.

وقوله عن إبليس "كان من الجن" والجن من عالم الغيب الأعلى، المجرد عن الجسم الأدنى، يدل على أن للجن ملك يحكمهم، كما أن لملائكة التوفي ملك يحكمهم، ولملائكة تسطير الوحي جبريل يحكمهم، "ن والقلم وما يسطرون" فكذلك يجب أن يكون للجن ملك يحكمهم *فإذن إبليس هو ملك الجن الممثل لهم في الملأ الأعلى.

كان الرب يريد أن يختار خليفة له ويصطفيه من بين الخلق، وكان أهل الملأ الأعلى على علم بذلك، وكانوا يتطلعون لهذا المقام الأعلى، فلما رأى إبليس أن الرب اصطفى آدم أي قبول هذا الاصطفاء واعترض "أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ" فهذا يدل على أنه كان يغلب على ظنه أنه هو الذي سينال مقام الخلافة.

فانقسم الجن إلى فريقين، فريق ظل على طاعة ملكه إبليس، وأما الآخر فأمسوا لا إمام لهم، وهؤلاء هم الذين نزلت فيهم سورة الجن تشرح حالهم وشأنهم، وهؤلاء يريدون أن يعرفوا الإمام

الذي استخلفه الرب في كل زمن لكي يدخلوا في طاعته ويسلموا له، كالجن الذين أسلموا لسليمان.

...

(١٥) ما معنى اسم "ادم".

في اللسان له عشرة معاني ومن اشتقاقاته كلها هذه العشرة وهي: القرابة وَالوسيلة إلى الشيء وَالخلطة وَالموافقة والاتفاق وَالألفة وَلأم وأصلح وألّف ووفق وَأسوة به يعرف الناس وَباطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهره وَالحاذق المجرد الذي جمع بين لين الأدمة وخشونة البشرة وَشديد السمرة.

(القرابة) وذلك لأنه أقرب المخلوقات إلى الخالق، "إني جاعل في الأرض خليفة"، وإن كان روح القدس هو حامل الرسائل له فمن أقرب إلى الخالق منه، وكذلك لأن القرب يكون على الحقيقة قرب الصفات، والخالق يحوي كل شيء وكذلك الإنسان يحوي كل شيء، عالم الملكوت وعالم الأجسام، وليس كالملائكة التي هي مجرد عقول ولا البهائم التي هي مجرد أجسام، وسرّ ذلك في الرغبة، فالانسان هو الذي يرغب أن يتحد مع الخالق، بل يصبح هو الخالق "أنا ربكم الأعلى" "وجعلكم ملوكاً".

(الوسيلة إلى الشيء) وهذا لأن آدم رمز على جعل محور الحياة الذكر والفكر، واتخاذ هذا القرار العالي هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى النبوة والاتحاد مع الخالق في العقل، حتى تصبح مثله به "في مقعد صدق عند مليك مقتدر".

(الموافقة والاتفاق) لأن بالإنسان المتأله يتم الاتفاق بين العالم الأعلى والعالم الأدنى، وهذه هي حقيقتنا، أن نعمل على اتمام هذا الاتفاق، وهي أن نحيا كحياة الملائكة وسط الأنعام، لا أن ننعزل لنحيا كالملائكة ولا أن نغرق في نار البهيمية والوحشية، فلا إفراد ولا تفريط ولكن الوسطية.

(الألفة) وذلك لأنه لن تتم الألفة الحقيقية بين الناس إلا إذا اختاروا حياة الذكر والفكر، حياة المعرفة "ولو أنفقت ما في الأرض جميعاً" وإنما "الله ألف بينهم".

(لأم وأصلح وألّف ووفق) وهذا هو العمل، عملنا نحن الناس، التوفيق بين حياة العقل وحياة الجسم حتى يصبحوا وحدة تامة، فلا نقول عقل وجسم، بل نقول نفس ونفس فقط، فهذه الثنائية يجب أن نكسرها، ونصبح في الوحدة، النفس.

(أسوة به يعرف الناس) "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" فمن عاش بناء على الذكر والفكر، عاش بالكمال الممكن، وبه يعرف الناس، أي تعرف هذا إنسان أم وحش بثوب بشر إذا

نظرت إلى رغباته، هل يرغب في الذكر والفكر أم يرغب في ماذا ، فآدم آية الناس، ومن عاش بالكمال العقلي والجسمي، أي كمال النفس "اليوم أكملت لكم دينكم" فهو وإن لم يعرف أسوة للناس. وينظر إليه الناس نظرة اتباع ولو في أعماق لاشعورهم الخفي، لأننا نحب الرفعة وهي مجموعة في آدم كالشجرة المباركة في البذرة.

(باطن الجلد) وذلك للروح، روح الرب التي في من يختار حياة المعرفة على حياة اللعب واللهو. أي يختار الحياة الآخرة على الدنيا. فهو وإن كان بحسب الظاهر كأكبر الفاسقين، ولكن في الباطن فهو في عليين، وأعداء حياة المعرفة لا يرون ذلك كأبيهم إبليس، قال له الرب "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي" فذكر أمرين. التسوية، والنفخ، فلما لم يسجد قال "ءأسجد لمن خلقت طينا" ولم يذكر الروح حتى، فكل ما يراه هو الظاهر، فإن كان الظاهر واحداً بين موسى كليم الله وفرعون عدو الله فإذا ما موسى إلا دجال يريد أن يتفضل عليكم وتكون له الكبرياء في الأرض، وبما أننا كلنا نأكل ونشرب ونموت فما الفرق بين أرفع الأنبياء وأشقى الأشقياء. الكل يلهث وراء لقمة العيش ولا شيء غير هذا. أما آدم وأبناءه فيهتمون بالروح، الرغبات، الرغبة في الاتحاد مع الخالق، تذكر الوحدة الوجودية "هو الأول والآخرة والظاهر والباطن" والتفكر في أسرار الخلق والكتاب لكي يتحد عقله مع عقل الخالق لعلمه بفعله وأسرار فعله.

(المجرب الجامع بين اللين والخشونة) وذلك لأن الطريق إلى المعرفة إما بالتجربة وإما بدراسة كتاب الوحي، ودراسة تجارب الآخرين والوحي هو اللين، لأنه يقدم المعلومة بدون جهد إلا الجهد العقلي وهو لذة، وأما القيام بالتجربة بنفسك فهو الخشونة لأنها صعبة وتجلب الألم، وآدم هو الذي يجمع بين كلا الأمرين، فهو الدارس المجرد "نور على نور".

(شديد السمرة) السمرة لون للبشرة له سببين، أحدهما أصلي والآخر مكتسب. فالأصل أن يولد المرء من أبوين سمر. والمكتسب أن يتعرض المرء للشمس كثيراً فيسمرّ جلده. وتأويل ذلك في آدم هو من وجهين، الأصل يرمز إلى عودة الإنسان إلى الملكوت لأنها أصله، أي منها نزل. والتعرض للشمس يرمز إلى طول التأمل والدراسة والتجارب، لأن الشمس رمز للعقل، العلم نور، وللتجارب لأنها تجلب الحر والعرق والتعب كالقيام بالتجربة.

...

(١٦)في الاعتراض والاختيار "إني جاعل في الأرض خليفة"

الرب يقول لمجلس الملأ الأعلى من الملائكة أنه "جاعل"، فهل هذا إخبار مجرد، أم أنه سؤال كاستشارة على صيغة الخبر لتدل على أن الحكم هو للرب وحده. لماذا يحتاج أن يعلمهم أصلاً، ولماذا يحتاج إلى إقناعهم، والقيام بأمر التعليم لآدم ثم العرض وما أشبه، هذا يدل على أن أصل سنة الخالق هي العرض والاقناع وحرية الإرادة والمشيئة. فحتى أمر الخالق نفسه لا يريد هو نفسه أن يطيعه أحد إلا إن اقتنع بأن أمره هو أحسن الأمور الممكنة.

وتأمل في كيفية التمهيد، فهو لم يأتي ويقول لهم دفعة واحدة "إني جاعل في الأرض خليفة" ولكنه مهد لهم بمقدمتين "إني خالق بشراً من طين" و "إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون"، وعلى هذه السنة يجب أن نسير في الكشف والتعليم والدعوة، التدرج من الأسفل إلى الأكبر. ومع ذلك تهيأ للمعارضة، فإن الخالق نفسه لم يخلوا أمره من المعارضة.

والسبيل لحل المعارضة هو القيام بتجربة، فبالتجربة تثبت المقولات المجردة، فهو قال لهم "إني أعلم ما لا تعلمون" وهم لم يقتنعوا، فأقام تجربة، فآتى آدم من العلم ما لم يؤتيهم، وبذلك يظهر أنهم لا يعلمون كل ما يعلمه هو، فتثبت مقولة "إني أعلم ما لا تعلمون": وهذا هو الطريق الأكبر، وأكاد أقول الأوحد، لحل الاختلافات السيئة والتي تجلب الدمار والأحزاب السيئة الغير بناءة، وهي القيام بتجربة، أو الاستدلال بتجربة متفق عليها. وهذا معنى حكم الحق، لأن الحق هو الواقع "قد جعلها ربي حقاً" فالرؤيا في القلب ليست حق، ولكن عندما تظهر في الواقع تصبح حق، والله هو الحق المبين، إذن عندما نقول "سننتظر حكم الله" أو "الله يحكم بيننا" فمعنى ذلك أن الواقع وثمرة العمل هي التي ستظهر مقولة من أصدق مِن مَن، أو أحسن مِن مَن.

...

—.—

والحمد لله رب العالمين.

...

(١٧) ١-بصورة عامة يوجد عند الناس فكرتين عن الحياة في الجسم، أي هذه الحياة التي تعارف الناس على تسميتها "الحياة". الأولى تقول "الحمد لله أننا أحياء هنا" والثانية تقول "نعوذ بالله من هذه الحياة". وهذا بغض النظر عن دينهم أو طريقة حياتهم. المقصود أن منهم من يرضى بالحياة على الأرض ومنهم من يكرهها ولا يريدها. ثم يتفرع الناس من هذين الأصلين تفرعات كثيرة لا نريد أن نخوض فيها هنا.

فتعالوا ننظر في فكرة "الحمد لله أننا أحياء على الأرض"، خاصة للذين يرون أنهم خلفاء على الأرض من أهل الأديان عامة. ما الذي جعلنا نهبط إلى الأرض؟ بحسب قصة آدم كان سبب الهبوط هو إليس الذي وسوس لآدم، ثم لما أطاعه وعصى ربه غوى، فآدم كان بلا جسم في الجنة. أي لم يكن على الأرض. بل كان في عالم السماء. ولما عصى هبط إلى الأرض بالجسم. فإن كنا نحب هذه الحياة بهذا الجسم فيجب أن نحب إليس كذلك لأنه السبب.

ولما تاب آدم وعاد إلى الجنة فهذا يرمز إلى أنه تخلى عن الجسم وعاد إلى السماء. رجع إلى اله. والتوبة فعل من التائب. فلو كان مجرد موت آدم بما يسمى موتة طبيعية هو الذي أرجعه إلى الجنة لما افترق آدم على أي فاسق آخر. فالكل سيموت عاجلاً أم آجلاً. فما الفرق إذن بين التائب

وغير التائب؟ إذا عرفنا أن التوبة فعل فالجواب بسيط: آدم قتل جسمه وتخلّى عنه طوعاً. قبل أن يأتيه الموت كرهاً.

وعلى ذلك يكون كل من يرضى بالحياة في الجسم بأي نوع من الرضا فهو من اتباع إبليس وعباد الشيطان وهو في جهنم فعلاً الآن. فماذا يحدث لهذا الذي لا يتخلى عن جسمه طوعاً ليرجع إلى الله؟ ماذا سيحدث له بعد أن يتعطل جسمه الفاسد بما يسمى موتة طبيعية؟ إذا عرفنا أن الحياة على الأرض هي العذاب وهي جهنم، فالجواب هو: "كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب"، فهذا سيرجع إلى الأرض إذ هو ممن قال الله فيهم "لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة" فستعطى نفسه جسم آخر ويحيا من جديد على الأرض ويتعذب بكل عذاباتها مرة أخرى كما يتعذب كل من في الأرض.

٢-إذا نظرنا إلى معنى الجنة سنرى أنها عالم الأسماء الحسنى، أي العالم الأول، "وعلم ءادم الأسماء كلها". أما الملائكة والجن فيرمزون إلى عالم القلب وعالم الجسم. عالم القلب هو من اسم "الله" وعالم الجسم من اسم "الرحمن" والأنفس كلها من اسم "الرحيم". فكل هؤلاء في قصور ذاتي ما داموا أحياء. لأنهم أجزاء. والجزاء دائماً أنقص من الكل. وهذا سر عذابهم الدائم. لأن الناقص دائماً مفتقر إلى شيء آخر ليكمله ويحقق له رغباته. وهذا الشيء الآخر كذلك ناقص بحد ذاته ويرغب في أن يحقق أحلامه. وهكذا كل من في العوالم الثلاثة فقراء إلى بعضهم البعض، كمثل جماعة شحاذين كل واحد يرغب في المال من الشحاذ الذي بجانبه والذي هو بدوره مفتقر إليه. "إن كل من السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا".

أما آدم فيرمز إلى حالة النفس وهي في المستقر الدائم المطلق، أي نفس العلي العظيم. ولذلك أُمر كل من في عالم السماء وعالم الأرض بأن يسجد له. لأن مقامه أعلى من كل مقاماتهم المحدودة. وتنبيهاً إلى أنهم يجب أن يتخذوه كمثل أعلى ويسعوا كلهم إلى التخلي عن نفوسهم ليرجعوا ويفنوا في ذات الحق المتعالي. وعندها وعندها فقط سيكونوا كاملين منعمين إلى الأبد حيث لا مكان ولا زمان ولا تفرق ولا تشتت ولا نقص ولا رغبات. بل بحر مطلق من الوجود الذي لا يوجد شيء يمكن أن نضعه به لأن كل وصف هو إما من عالم السماء أو عالم الأرض وهو المتعالي عن السماء والأرض.

فآدم ليس فقط يرمز إلى الحالة بدون جسم ولكن بدون قلب كذلك. روح مجرد. ولذلك قال له "إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى" فواحدة ترمز إلى النقص في أمور العلم، وثانية ترمز إلى النقص في أمور الجسم.أما هو فروح متعالي فوق العلم والجسم.

فمن الذي وسوس إليه أن يترك هذه الحالة العظيمة؟ الملائكة والجن كلاهما تآمر عليه. وذلك لأنهما لم يرغبا في التخلي عن ظهورهم في العوالم، أي كرهوا الله والعودة إلى الله. ولذلك سماهم بالاسم الجامع "الشيطان". ولذلك اعترضوا على هذا المثل الأعلى وقالوا متباهين بذواتهم المحدودة "ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك". لاحظ إذا أردت عمقاً أكبر كيف نسبوا إلى أنفسهم ثلاث كلمات ولم يذكروا الحق إلا بكلمتين حتى بدون اسمه بل مجرد إشارة. "نحن" وَ "نسبح" وَ"نقدس".وأما الحق المتعالي فالكاف في "بحمدك" و "لك". ولاحظ كيف نسبوا الفقر إلى الحق، وكأنه بحاجة إلى تسبيحهم وتقديسهم. فهؤلاء هم جذور اليهود العليا الذين قالوا "إن الله فقير ونحن أغنياء".

فالعلي العظيم جل وعلا خلق نفساً تحوي في داخلها كل العوالم الثلاثة وخلقها لكي تتخلى عن كل العوالم وترجع إليه "واصطنعتك لنفسي". وذلك ليكون مثلاً أعلى لكل الجن والملائكة "وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين". ولكن جاء الشياطين لكي يذلوا بني آدم، نحن، ولكي يقنعونا بأن البقاء في عوالم الخلق هو أمر خير، بل الأدهى من ذلك سموا الرجوع إلى الخالق المتعالي "انتحار" و"جنون" بل والأدعى أنهم توعدوا من يرجع بجهنم خالداً فيها. والملايكة الذين تآمروا على آدم من قبل هم هم يتآمرون على أبناءه لكي يقتلوهم. فأوحوا إليهم بالعلوم والأفكار والأديان حتى يتعلقوا بهذا العالم الأرضي أو العالم السماوي. وكلاهما باطل إذ الله العلي وحده هو الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال والعذاب.

وأما قوله "فسجد الملائكة كلهم أجمعون" فمن قال أنها سجدة خالصة لوجه الله؟ ألم تدرسوا عن المنافقين؟ وإذا قلت: ولكن الملائكة كلهم طاهرين لا نفاق فيهم. أقول: اقرأ "وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون". واقرأ "ومن يقل منهم إني إله فذلك نجزيه جهنم". ثم من اخترع هذه الفكرة الغبية التي تجعل كل الملائكة طاهرين؟ أليس النفاق مرض في القلب؟ عندما يقول الكتاب "أفي قلوبهم مرض" فهل يعني عالم القلب أم هذه اللحمة التي يسميها الناس "قلب" في هذا الجسم؟

فكرة طهارة الملائكة كلهم هي من نفس اختراع الأبله الذي يزعم أن الحياة في الجسم خير. وإن نفس الانسان أصلها خير. ولعلها من آثار التآمر على بني آدم، حتى يبرروا كل ما تنزل به الملائكة، إذ هم طاهرون على حد قولهم. يوجد من الملائكة صالحين وفاسدين كما يوجد في الجن صالحين وفاسدين كما يوجد في كل نفس صلاح وفساد. وذلك بسبب تعدد العوالم وترابطها والفقر الذاتي الذي تحويه. فكل ناقص يحوي الشر. لأنه يرغب في جبر نقصه بأي وسيلة ممكنة. وحتى لو لم [ينفذ] فعلى الأقل يكون فكر. ولو لم يفكر شعورياً فهو يفكر لاشعورياً. والذي يزعم أنه لا يفعل الشر بجسمه ولا بقلبه ولا حتى يحلم به فليأتي لنراه ونفحصه. هل عرفت لماذا يقولون أن الشر الذي تفعله في أحلامك لا تحاسب عليه. وهل عرفت لماذا نسخوا أو قل طمسوا هذه الآية "وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله"، إنهم يكفرون بعالم القلب ولا يقيمون له

وزناً من ناحية الحساب، ولكنهم يعولون عليه كل التعويل من الوجوه الأخرى. وكأن أفعال الجسم هي وحدها التي ينظر إليها الله أما أفعال القلب فلا شأن له بها. وهي مما لا يؤاخذنا الله بها. وهذا طبيعي فهم لأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا الشر الذي يريدونه بأجسامهم، أو أكثرهم على الأقل، ولذلك رفعوا سلطان الله على قلوبهم، فيحق لهم أن يفكروا بما يشاؤون، أن يحلموا بما يشاؤون، المهم أن لا تنفذ أو تحدث به غيرها. فهؤلاء عباد للجسم عبادة محضة. إذ لا يعترفون بحقيقة كل ما لا يصل إلى الجسم وأفعاله. ثم يزعمون أنهم أهل الله وخاصته. "أولئك ينادون من مكان بعيد".

٣-فإذن لنختصر الحياة ونحدد الجوهر: كل من لا يتخلى عن جسمه وقلبه طواعية ليرجع إلى النفس المتعالية فهو في العذاب اليوم وكل يوم. وكل من سيختار أن يرجع إلى الحق بابتسامة وحب فهذا والحق المتعالي واحد.

ابتسم، وخذ السم، وارجع إلى عالم الأسماء، هذا هو كل القرءان المجموع في كلمة "بسم الله الرحمن الرحيم".

فإنا لله وإنا إليه راجعون...

....انتهى والحمد لله.